الخط
من روائع الفنون العربية الاسلامية

أ.د. ناهض عبد الرزاق دفتر

الخط من روائع الفنون العربية الاسلامية

أ.د. ناهض عبد الرزاق دفتر

[[المقدمة]]

اعتبر الخط العمود الفقري في الفنون العربية و الاسلامية بحيث نجده على جميع العمائر و الفنون المختلفة ، وقد ساعد الخط في تحديد الاثر سوى في أنشاءه او صناعته ، وقد ساعدت طبيعة الحروف العربية على المطاوعة ، ورغبة اولي الامر من الخلفاء او الامراء او الحكام في تجويد الخط ، وقد ورد في القرآن الكريم العديد من الايات في ذكر الخط ، كما اقسم الباري عز وجل بالقلم الذي هو أداة الكتابة ، كما توجد العديد من الاحاديث النبوية الشريفة والتي تحث على تجويد الخط ، كما ان قول الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) : ((الخط الحسن يزيد الحق وضوحا)) خير دليل على الاهتمام بالخط وتجويده ، لقد اختلف المؤرخون في نشأة الخط والكتابة ، فمنهم من يعتقد انه الهي ، فيذكر ان آدم ابو البشر (عليه السلام) هو الذي وضع الكتابة ، بعد ان تعلمها من الله (عز وجل) واعطى كل قوم كتابهم ، في حين يعتقد اخرون ان النبي أدريس او النبي نوح هما من علم الكتابة للناس ، في حين يذكر فريق اخر ان النبي أسماعيل (عليه السلام) كان نصيبه الكتاب العربي ، في حين يرى اخرون ان الخط العربي كان قد اشتق عن الخط ((المسند)) وهو خط حضارة الجنوب للجزيرة العربية واليمن خاصة ، حيث انتقل الخط المسند الى المناذرة وبلاد الشام عن طريق القوافل التجارية التي

كانت تأتي من اليمن الى سورية والعراق ، ثم انتقل عن طريق هؤلاءالى الحجاز . في حين يرى اخرون ان الخط العربي كان قد اشتق عن الخط النبطي ، وهو الرأي الاقرب الى الصحة وذلك للتشابه الكبير ما بين مميزات الخط العربي مع الخط النبطي ، فمن خلال دراسة النقوش النبطية وخاصة المتأخرة منها وجد الباحثون بان هناك بعض الحروف والكلمات العربية قد ظهرت في تلك النقوش النبطية ومنها ((نقش ام الجمال – وهو شاهد قبر أمرء القيس بن عمرو ملك العرب ، وقد عثرعليه في حوران شرق دمشق)) وخلال القرن السادس الميلادي عثر على نصوص عربية من فترة قبل الاسلام وهي نقش (زبد ، اسيس ، حران ، ام الجمال الثاني) وهذه ادلة واضحة تؤكد بان الخط العربي كان قد انحدر عن الخط النبطي ، لقد كان وادي حوران كان امتدادا من المدن النبطية الى الانبار والحيرة بالعراق ، وعن الحيرة الى الحجاز[١] ، وقد كتب بعض المؤرخون العرب امثال ((البلاذري ، الجهشياري ، الصولي ، ابن النديم)) ان الخط انتقل من الانبار الى الحيرة ثم الحجاز . وقد اكد المختصون ان وادي حوران حيث فيه عددا من مدن الانباط قد نقل الكتابة الى الانبار والحيرة عن طريق دومة الجندل الى الحجاز ، حيث كانت روابط تجارية ما بين الحجاز وبلاد الشام عن طريق المدن النبطية ، كما ان بعض الاسماء العربية وردت في بطون الكتب من انها تعلمت الخط وعلمته للاخرين ومن هؤلاء ((بشر بن عبد الملك الكلبي ، وابو قيس بن عبد مناف بن زهرة وسفيان بن أمية واخوه حرب بن امية)) وغيرهم ممن عاشوا خلال القرن السادس الميلادي ، كما ان عبد المطلب بن هاشم جد الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد كتب بيده وثيقة كانت محفوظة في خزانة الحليفة العباسي المأمون (١٩٨ – ٢١٨ هجرية)[٢] وبما ان مكة المكرمة كانت مركزا تجاريا

فان العديد من اهلها عرفوا الخطين الشمالي والجنوبي (النبطي والمسند) فقد ذكر المؤرخ البلاذري اسماء اربعة وعشرين شخصا كانوا يعرفون القراءة والكتابة فيهم عددا من النساء[٣] . في حين كانت الكتابة في قبيلتي الاوس والخزرج في يثرب اقل انتشارا[٤] ، وقد كتب بالعربية حينذاك بعض النصوص الدينية ، وكتبت بعض الصكوك التجارية ، والديون و القروض ، والمهارق التي سجل عليها العهود والمواثيق بين القبائل ، ووثائق الامان المعروفة بايلاف وبعض الوثائق التي سجلت بعض الاحداث الهامة [٥].

[الخط في الاسلام]]

خلال القرن السابع الميلادي وفي سنة ٦٢١ ميلادية بزغ فجر الاسلام وأصبحت الحاجة للكتابة اكثر ، حيث اصبح الخط من اهم الوسائط في التثبيت والتسجيل وتحديد الاثر ، وفي الاسلام ورد في القرآن الكريم حيث بدات بقوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم (أقرأ) مع اول سورة ، ثم نزلت آيات اخرى متعددة في سورة البقرة ، وفي سورة القلم حيث تربط الكتابة دائما ، بمصدر الهي وتأمر باستعمالها ، وبالاضافة الى ما ورد في القرآن الكريم ورد في الاحاديث النبوية الشريفة ، حيث كان يطلب من اصحابه بتسجيل الاحداث والتعليمات الدينية بالكتابة ويحثهم على تعليم أبنائهم القراءة والكتابة فريضة لا غنى عنها ، وللرسول الكريم العديد من الوصايا حول اداب الكتابة والشكل الذي يجب ان تكون عليه بعض الاحرف في البسملة خاصة ، وطلب الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) من أسرى قريش الذين وقعوا بعد غزوة بدر

والذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة تعليم عشرة من ابناء المسلمين القراءة والكتابة حتى يدفع فدية اسره ، وبذلك صارت المدينة الممنورة من اولى مراكز تطور الخط بعد الاسلام ، وقد عمل مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اكثر من اربعين كاتبا للوحي ، كما عمل بعضهم في كتابة العهود والرسائل التي بعث بها الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) الى ملوك وأمراء الدول المجاورة للجزيرة العربية يدعوهم فيها للاسلام ، وقد تعلم بعض الصحابة (رضوان الله عليهم) لغات مختلفة ، مثل زيد بن ثابت الذي كان قد تعلم الفارسية والرومية والقبطية والحبشية من اهلها في المدينة المنورة ، وكان يترجم للرسول (صلى الله عليه وسلم) الوثائق التي ترده بهذه اللغات[٦] .

كما عرف بعض من اصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) العبرية والسريانية[٧] ويجب ان نشير الى ان الخط في عهد الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) لم يصل الى الكمال وخاصة في المرحلة التي سبقت جمع القرآن واستنساخه بعدة نسخ ، لذلك كانت رسائل الرسول (صلى الله عليه وسلم) عند بعض المختصين موضع شك لعدة اسباب.

لم يحدث تغيرا على الخط في عهد الخليفة ابو بكر الصديق (رضي الله عنه) (١١-١٣ هجرية) وذلك لقصر الفترة الزمنية ، اضافة الى حدوث حروب الردة وانشغاله باخمادها ، لكن الحال اختلف في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (١٣-٢٣ هجرية) ، حيث فتحت في عهده اقطار ذات حضارة عريقة وهي بلاد الشام والعراق ومصر ، وهنا ازدادت اهمية الكتابة وذلك لحاجتهم اليها في الحياة الدينية و الادارية والمعاملات اليومية ، حيث فتحت حلقات التعليم في المساجد وكانت اشبه بالمدارس ، وفي عهد جمع

كاتب الوحي زيد بن ثابت المواد التي حملت نصوص القرآن الكريم وكانت متباينة ما بين العظام والرقوق والجلود والاحجار وكسر الفخار لنسخها على الرق وخاصة رق الغزال لجودته وبياضه وليونته ، وكان سبب جمع مواد القرآن ونسخها هو أستشهاد عدد كبير من حفظة القرآن بسبب الفتوحات اولا وبسبب الاختلافات في قراءة القرآن في اماكن مختلفة .

وفي خلافة الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (٢٣-٣٥ هجرية) وأخذ الصحف التي جمعها وكتبها زيد بن ثابت حيث بقيت عند حفصة بنت عمر (رضي الله عنهما) فكتب منها مصحفا عرف باسم (المصحف الامام) ثم طلب من زيد بن ثابت وعبد الرحمن بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ان ينسخ كل منهم نسخة من المصحف الامام حتى يرسلها الى الامصار[٨] .

فلما نسخوها بعث واحدا الى الكوفة واخر للبصرة ، وثالث الى الشام ، وترك الرابع عنده في المدينة المنورة ، وفي رواية اخرى انه ارسل نسخة الى مكة واخرى لليمن وثالثة للبحرين ، وارسل مع كل نسخة قارئا واماما[٩] هذه المصاحف كتبت بالخطين المكي والمدني ، حيث كان يسمى الخط باسم المدينة التي يكتب بها ، وومن اهم صفات الخطين كما وردت عند ابن النديم حيث قال : أن في ألفاته تعويج الى يمنة اليد واعلا الاصابع ، وفي شكله انضجاع يسير[١٠] .

كما ان التأثير النبطي كان واضحا عليه وهي حذف حرف الالف من بعض الكلمات مثل (الرحمان) تكتب (الرحمن) وغيرها ، كما انها كانت خالية من الشكل والاعجام (الحركات والتنقيط) .

ان عدم وجود الشكل والاعجام في الخط العربي كان قد أثار العديد من المشاكل وخاصة عند الاعاجم (من غير العرب) الذين دخلوا واعتنقوا الاسلام ، فقد كانوا يلحنون بقراءة القرآن ويخطئون بالقراءة فكان لابد من القيام بالاصلاح بالخط بوضع الشكل (الحركات) والاعجام (التنقيط) وخاصة للحروف المتشابهه ، فكانت الخطوة الاولى للاصلاح قد تمت على يد المصلح اللغووي ابو الاسود الدؤلي بطلب من زياد بن ابيه (ت ٥٣ هجرية) وكان من طلاب الامام علي بن ابي طالب وهو من البصرة في جنوب العراق ، وقد وافق الدوؤلي بعد ان سمع قراءة القرآن بالصورة غير الصحيحة ، حيث سمع احدهم يقرأ : (ان الله برئ من المشركين ورسوله) قرأها بجر رسوله (بالكسر) فاستعظم ذلك ابو الاسود الدؤولي وقال عز وجه الله ان يبرأ من رسوله ، وبدأ بالاصلاح حيث وضع الندب فوق الحروف لكلمة وكانت تلك الندب بمثابة الحركات وليس نقط لتميز الحروف المتشابه ، وقد وضع تلك الندب بلون مداد مغاير الى لون مداد الكتابة ، ووضع ندبة فوق الحرف للدلالة على الفتح ، وندبة تحته للدلالة على الكسر ، وندبة بين يدي الحرف للدلالة على الضم ، وندبتين للدلالة على التنوين وقد شكل الدؤولي المصحف باكلمه ، وجاء المصلح اللغوي الثاني وهو الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هجرية) حيث وضع الحركات التي لا زالت مستخدمة حتى يومنا هذا وهي الضمة استخدم استخدم لها الواو الصغيرة ، وللكسرة باء صغيرة للحرف المجرور ،

والفتحة جعلها الف مبطوحة ، وعلامة السكون او الجزم دائرة صغيرة مفتوحة الوسط .

ووضع الفراهيدي بقية الحركات للمدة والهمزة ، وهي نفس الحركات المستخدمة في يومنا هذا ، والفراهيدي من البصرة ايضا .

اما في مجال الاعجام (التنقيط) لتميز الحروف المتشابه فقد ذكر لنا المصادر التاريخية ان كل من يحيى بن يعمر الوشقي ، ونصر بن عاصم وكلاهما من البصرة ايضا ، كانا قد وضعا النقاط لتميز الحروف المتشابه . وقد توفي نصر بن عاصم الليثي سنة ٨٩ هجرية في حين توفي الوشقي ينة ١٢٩ هجرية ، في حين ان الشواهد المادية تؤكد ان التنقيط لبعض الحروف ظهرت مبكرة ومنها البردية المؤرخة سنة ٢٢ هجرية حيث وجد ان بعض حروفها كانت منقطة ، وهناك أشارة الى ان معاوية بن ابي سفيان قد ذكر لكاتبه أرقش كتابك ، فلما ساله الكاتب وما الرقش يا امير المؤمنين اجابه انه عندما كان يقف بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يأمره برقش كتابه والرقش هو التنقيط

مما تقدم نستطيع القول ان الشكل والاعجام وضعا لتيسير الكتابة في وقتها ولضبط الكلمة فالشكل ماخوذ من الشكال اي رباط الدابة لمنعها من الهرب واشكال الكلمة لمنعها من اللحن والزلل في النطق ونطقها بصورة صحيحة ، كما ان الاعجام (التنقيط) هو لتميز الحروف المتشابه ، وعند التنقيط يزول اللبس .

واليوم المثل الشائع (فلان وضع النقاط على الحروف) اي ازال الغموض واصبح الامر واضحا . وفي عهد الخليفة الرابع علي بن ابي طالب (عليه السلام) (٣٥-٤٠ هجرية) حيث نقل مقر الخلافة من المدينة المنورة الى الكوفة بالعراق ، حيث طغت تسمية الخط الكوفي على بقية الخطوط مثل (المكي والمدني والبصري) عندما كان ينسب الخط الى المدينة وقد استقبطت العاصمة الجديدة الكوفة العديد من الفقهاء والعلماء والشعراء ومجودي الخط ، فانتعش الخط العربي وطغت عليه التسمية وهو ما عرف بـ(الخط الكوفي) وقد كان الخط اللين (النسخي يسير جنبا الى جنب مع الخط الكوفي ، وكان نوع المادة التي يكتب عليها هو الذي يحدد نوع الخط فشواهد القبور على الحجر وعلى الاخشاب وعلى المعادن يكون الخط الكوفي هو الانسب للكتابة ، اما اذا كانت الكتابة على البردي او الرقوق والجلود فيكون الخط اللين (النسخي) هو المناسب لتلك المواد).

وبعد قيام الدولة الاموية (٤١-١٣٢ هجرية) انتقلت العاصمة الى دمشق في بلاد الشام بعد ترك الكوفة بالعراق .

وقد رعت الدولة الاموية تجويد الخط العربي ، وظهر عددا من الخطاطين الذين جودوا الخط العربي ومنهم :

١- **خالد بن ابي الهياج :-** والذي ذاعت شهرته بداية في عهد الخليفة علي بن ابي طالب (عليه السلام) ولكنه اشتهر اكثر في العصر الاموي وقد كتب هذا الخطاط بالذهب على جدار القبلة في المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة اربعا وعشرين سورة من القرآن الكريم تضم ثلاثا وتسعين آية تبدأ من

سورة (الشمس) الى نهاية القرآن الكريم . وكان هذا الخطاط يكتب المصاحف والاخبار والاشعار للخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦ هجرية) ، وقد ذكر ابن النديم انه شاهد مصحفا بخط خالد بن ابي الهياج[١١] .

٢- ابي يحيى مالك بن دينار :- وهو من الخطاطين المشهورين الذين ظهروا في العصر الاموي (ت ١٣١ هجرية) وكان يكتب المصاحف بالآجر.

٣- قطبة المحرر (ت ١٥٤ هجرية) :- والمحرر يعني الكاتب وقد ساهم هذا الخطاط في تطوير وتجودي الخط في وقته ، ويقول عنه ابن النديم ان قطبة المحرر استخرج اربعة اقلام ، واستخدم الخط وكانه مقاس اساسي لتحديد الثخانات المختلفة في اقلام الخطوط الصغيرة واعتبر قطبة اول من حدد نسبة معينة من جسامات الخط المقرر رسمه تتفاوت تبعا لمساحات هذه الاوراق ، واعتبر الطومار وهو اكبر المساحات القياسية وكان مخصصا لكتابة علامات (أوامر) الخلفاء الامويين ، واعتبر الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ – ٩٦ هـ) هو اول من استحدث خط الطومار ، في حين منع الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١ هـ) استخدام هذا الخط بحجة الاسراف في الورق[١٢] .

وفي اواخر العصر الاموي واوائل العصر العباسي ظهر خطاطان وهما الضماك بن عجلان الكاتب والذي عاش في خلافة الخليفة العباسي السفاح (١٣٢ – ١٣٦هـ) ، والاخر هو اسحاق بن حماد الكاتب والذي ذاعت شهرته في عهد الخليفة المنصور (١٣٦ – ١٥٨ هـ) واستمر في عهد ابنه الخليفة المهدي (١٥٨ – ١٦٩هـ) ، وقد درب هذا الخطاط (اسحق بن حماد

الكاتب) عددا من الخطاطين ومنهم (ابراهيم السجزي او (الشجري) ، ويوسف لقوه ، والجارية ثناء الكاتبة ، وأحمد بن ابي خالد . وقد ساهم هؤلاء في تجويد الخط العربي .

فقد ابدع الخطاط ابراهيم السجزي قلم الجليل عن شيخه اسحاق بن حماد طوره وجعله قلمين اصغر من الطومار اطلق عليهما (الثلثين والثلث).

اما اخوه الكاتب الشاعر يوسف لقوه ، فقد استخرج قلما من النصف الثقيل ، عرف فيما بعد باسم (قلم التوقيعات) واعجب به الوزير الفضل بن سهل (ذوالرياستين) وزير الخليفة المأمون ، فاطلق عليه (الخط الرياسي) [عؤف هذا الخط باسم خط التوقيعات ايضا].

واعتبر الخطاط الوزير ابو العباس بن ابي خالد يزيد بن عبد الرحمن الاحول كان وزيرا للخليفة المأمون للسنوات (٢٠٣-٢١٢هـ)[١٣] .

وقد حضي الاحول بتقدير الخليفة المأمون ، وقد ذكر ابن النديم بأنه كان يكتب للخليفة المأمون رسائل بخط الطومار والني كان يرسلها الى مختلف الملوك ، وقد استخرج الاحول المحرر خطين خفيف النصف وخفيف الثلث ، ومن خطوطه الاخرى القلم المسلسل (اي المتصل الاحرف) وخط المؤمرات وخط القصص وغيرها . وخط الطومار كتب باربعا وعشرين شعرة من شعر البرذون (اي ١٦مم على وجه التخمين وطول الالف المكتوبة به ٢٤ X ٢٤ = ٥٧٦ شعرة (اي ٢٥٦ مم تقريبا))[١٤].

لقد شجع الخلفاء العباسيون وزرائهم في اواخر القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، واوائل القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ، حيث ظهر بعض

الخطاطين ومنهم أحمد بن محمد الزاقف[١٥] والذي اشتهر في خط الثلث بصورة خاصة ، واعتبر الخطاط محمد ابن معدان استاذ الخط الجليل وكان له طلاب من اشهرهم ابو الحسين اسحاق بن ابراهيم البربري وكان والده معلما لاولاد الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هجرية) واعتبر البربري مؤلف كتاب في الخط والكتابة هو (تحفة الوامق) وكان استاذا لأبن مقلة .

وفي نفس الفترة ظهر في مصر الخطاط طبطاب المحرر[١٦] وكان طبطاب المحرر احد كتبة ابن طولون (ت٢٧٠هجرية) .

اولاد مقلة :- اعتبر الاخوان ابنا مقلة وهم ابو علي محمد بن علي (ت٣٢٨هـ) واخوه ابو عبد الله الحسن(ت٣٣٨هـ) نقطة البداية في ظهور مرحلة جديدة في تاريخ الخط العربي ، ان المقصود (ابن مقلة) هو ابو علي كان ابن مقلة على درجة كبيرة من الاهمية ، حيث طرح ابو علي بن مقلة منهجا ذا قواعد معينة نتيجة لجهود وتجارب استمرت ثلاثة قرون ، واستطاع ابن مقلة وضع النسب الخاصة في تطوير الخط وفق اسس محددة ، وجاء بعد ابن مقلة ابن البواب والذي اعتبر خير من نقل المرحلة الثانية بتطوير الخط بعد ابن مقلة ، حيث قام ابن البواب باكمال المصحف الذي تركه ابن مقلة دون ان يكمله ، حيث لم يستطع احدا من تفريق الجزء المكمل عن الاصل [١٧].

وقد اهتم ابن البواب بالخط المعروف بالرقاع والتوقيع ، وفي عهده شاع استخدام الخط الجليل على الجدران كعنصر اساسي من عناصر زينتها ، وكان الكتاب في الدواوين الرفيعة يستخدمون خطوطا طوروها مثل الجليل والطومار والرياسي والثلثين والتوقيع ، واعتبر مالك بن دينار اقدم وراق معروف حينذاك ،

وكان على الوراق ان يكون مليح الخط صحيح الضبط واسع العلم ، وقد كان ابن النديم (ت٣٨٥هـ) وابي حيان التوحيدي (ت٤٠٠هـ) وياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) كانوا بالاصل وراقين ، وقد عملوا على تطوير الخط العربي عرف بأسم (الخط الوراقي) و (الخط المحقق او الخط العراقي)[١٨].

ومن اشهر الوراقين (ابن الوداع عبد الله بن محمد الازدي الوراق (ت٢٣٠هـ))[١٩] وابا العباس محمد بن الحسن الاحول الوراق (القرن الثالث الهجري) وابا موسى سليمان الحامض (ت٣٠٥هـ) وعلي بن محمد الاسدي المعروف بابن الكوفي (ت٣٤٨هـ) وابا الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت٣٩٣هجرية) ومن النساخ الوراقين ابا محمد يحيى بن محمد الارزني (ت٤١٥هجرية) وابن رشيق (ت٤٥٦هجرية) وابا جعفر القاضي الزوزني(ت٤٦٣هجرية) وابا الحسن هبة الله بن الحسن الكاتب والعتابي (ت٥٥٦هجرية) وياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) حيث خصص مكانا لتراجم الخطاطين في كتابه ، والنويري (ت٧٣٣هجرية)[٢٠] . وقد كان اللغوي المشهور.

اسماعيل بن حماد الجوهري (ت٤٠٠هجري) كان قد تعلم الخط حتى ضرب به الامثال ، وقد تعلم الخط في العراق الى جانب تعلمه العلوم اللغوية ثم شرع يدرسه في نيسابور ، فكان اول من حمل الى الشرق طريقة الخطاط ابن مقلة ونشرها هناك .

واعتبر خط ابن البواب (ت٤١٣هـ) هو امتداد الخط ابن مقلة وقد طور طرزه واسلوبه ووضع الخط المنسوب على نسب هندسية اكثر دقة ، وانتقى اساليب في الخط تحمل خصائص بارزة مشتركة بينهما .

ومن الخطاطين الذين ساروا على نهج ابن البواب (٥١٨هجرية) والمكنى بابن الخازن[٢١] ، وكان ابن الخازن يكتب الرقاع والتوقيع اكثر من غيرهما ، ومن النساء المشهورات اللائي برعن في هذا المجال زينب بنت احمد بن ابي الفرج الابري البغدادي (ت٥٧٤هجرية) وقد عرفت بلقب (شهدة) وكانت قد تعلمت الخط عن ابيها ثم اخذته من محمد بن عبد الملك[٢٢].

لقد تلقب عددا من الخطاطين بـ(ياقوت) قبل ياقوت المستعصمي الخطاط المشهور ، ومن هؤلاء أمين الدين ياقوت الموصلي الملكي (ت٦١٨هـ) وقد اخذ نسبة (الملكي) عن السلطان ملكشاه ، ومن طلابه ولي الدين بن زنكي العجمي[٢٣] وكانوا هؤلاء قد نقلوا الخط المنسوب الى مصر والاناضول ، ومن المشهورين حينذاك كان الموسيقي المشهور صفي الدين عبد المؤمن الاورموي(ت٦٩٣هـ)والذي كان نديما للخليفة العباسي المستعصم بالله ثم عمل رئيسا لخزانة كتبه وقد تعلم الخطاط ياقوت المستعصمي الخط على يد هذا الفنان .[حبيب افندي : خط وخطاطان ص٥١]

لقد اشتهر الخطاط ابو المجد جمال الدين ياقوت بن عبد الله المستعصمي (ت٦٩٨هـ) حيث شاع صيته في تجويد الخط العربي ، وقد عاش هذا الخطاط في مدينة السلام (بغداد) ، واصبح (ابن مقلة وابن البواب وياقوت المستعصمي) من اشهر خطاطي العصر العباسي ، وقد سار ياقوت

المستعصمي على خطى ابن مقلة وابن البواب وتمسك بالقواعد التي وضعوها للخط وقد جود الخطين المحقق والريحاني بصورة خاصة ، وقد خط ياقوت المستعصمي عددا من المصاحف ، واليوم توزعت اعماله على العديد من المكتبات والمتاحف ، ولهذا الخطاط عددا من مخطوطات للاحاديث النبوية الشريفة ، وبعض الدوواين الشعرية ، لقد استمرت مدرسة ياقوت للخط حتى بعد سقوط الخلافة العباسية سنة٦٥٦هـ / ١٢٥٨م وبقي ببغداد ولم يغادرها واستمروا طلابه وبعضهم كانت لهم حضوة عنده ومكانة متميزة ، اذ سمح لست من طلابه ان يضعوا توقيعه على النقول التي يأخذونها محاكاة لخطوطه[٢٤] .

وحتى ان بعض التواريخ والتواقيع ظهرت حتى بعد وفاته وقد عرف الخطاط ياقوت وطلابه الستة بلقب (الاساتذة السبعة) وقد نقلت خطوط مدرسة ياقوت الى مختلف البلدان ومن طلاب ياقوت (ارغون بن عبد الله الكاملي (ت٧٤٤هجرية) ، والشيخ احمد بن الشهروردي ، ومباركشاه السيوفي ، ومباركشاه بن قطب ، وعبد الله بن محمود الصيرفي ، ونصر الله الطيب ، واحيانا يذكر يوسف بن يحيى المشهدي او (الخراساني ، الهروي ، الكوفي) ، والسيد حيدر كنده نويس)[٢٥] .

وبعد ياقوت المستعصمي وطلابه فقدت بغداد مكانتها كمركز لتجويد فن الخط العربي ، وذلك بعد الغزو المغولي للعراق وان الفنون بصورة عامة ومنها الخط تنتعش بظروف السلام والعمران والرفاه ، وبرزت مناطق اخرى غير العراق ، وخاصة المناطق الشرقية من العالم الاسلامي ايام الغزنويين والسلاجقة العظام ولكن يجب الاشارة الى بعض الوزراء والامراء من الايلخانيين والتيموريين والجلايرين قد اهتموا بهذا الجانب بل ان بعضهم قد

مارس الخط كما هو الحال مع الوزير بايسنقر بن شاهرخ (ت٨٣٧هجرية)[٢٦] والذي اعتبر حامي للعلوم والفنون وكان خطاطا بارعا ، وجمع في ديوانه عددا من الخطاطين والنقاشين والمذهبين والمجلدين ، وانجز في عهده جامع (جوهر شاد خاتون) في مشهد حاملة توقيعه من القرن التاسع الهجري . وفي عهد أبي الغازي ميرزا حسين بن منصور بن بايقرا (٨٧٣-٩١١هجرية)[٢٧]حاكم خراسان تحولت هرات المسرح للحياة الفنية والادبية وفي عهده عاش الكتاب مرحلة متطورة ممتازة في خطه وتذهيبه وتزينه وتجليده ومحتواه .

وفي مصر فقد حافظ فن الخط على المستوى الرفيع منذ عهد الطولونيين وازدهر اكثر في عهد الفاطميين والايوبيين ثم العهد المملوكي .

كما ازدهر الخط وانتشر شمال افريقيا ووسطها وغربها وفي الاندلس .[دائرة المعارف الاسلامية التركية ،ج١،ص٥٠٨/ب]

[فن الخط بالعصر العثماني]

بعد ان وضع الخطاط ياقوت المستعصمي الاقلام الستة وتحديد قواعدها وبعد وفاته سنة(٦٩٨هجرية) سار طلابه ورواد مدرسته على نفس النهج ولكن يجب الاشارة الى انهم نقلوا مدرسة الخط من بغداد الى سوريا والاناضول وايران وما وراء النهر ، وشاع اسلوب المستعصمي في تركيا وايران وسورية في حين التزمت مصر بمدرسة الخطاط ابن البواب .

وفي العصر العثماني ظهر الخطاط الشيخ حمد الله الاماسي والذي سار بنجاح على طريقة ياقوت ، وبتشجيع من السلطان العثماني بايزيد الثاني (٨٨٦-٩١٨هجرية)[٢٨] ، وكان الخطاط الشيخ حمد الله ينزوي لمدة اربعين يوما ثم يكررها ثانية (وبمدد من الخضر عليه السلام) حيث كان خلالها يخط الاجمل والاروع من الخطوط ، وقد اصبح الشيخ حمد الله الاماسي مدرسة بالخط واحتل مكانة استاذه ياقوت ومن طلابه احمد قرة حصاري والذي سعى لحياء طريقة ياقوت المستعصمي من جديد في الدولة العثمانية ولكنه لم يوفق بالخروج على مدرسة استاذه الخطاط حمد الله الاماسي حيث عادت طريقته ثانية .

وخلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي حيث اصبحت استنبول عاصمة للخلافة العثمانية مركزا للفكر والفن وتطور الخط . وقد سجلت المصادر العثمانية نوع الخط الذي بدأه الشيخ حمد الله الاماسي باسم (خادم القرآن) كما شاعت خطوط اخرى للمصاحف عرفت بخط (النسخ) والمحقق والريحاني ، واحيانا الثلث . وقد كان الخطاط ياقوت يجمع عددا من الخطوط مثل المحقق والثلث والنسخ والريحاني في الصفحة الواحدة . وهذا ما فعله الخطاط التركي قره حصاري ان كان حجم المصحف كبيرا ، في حين كتبت بعض المصاحف بخط الثلث فقط ، وقد شاع استخدام خط (الثلث الجلي) [الشريط الكتابي على جامع الحيدرخانة ببغداد بخط المرحوم هاشم البغدادي وكان بالثلث الجلي].

وقد ظهر في العصر العثماني (خط الاجازة) وهي كتابة جملة الاجازة التي يحصل عليها الخطاطون في الاقلام الستة من معليمهم .

وخلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي ظهر خطاطون جودوا الخط ومنهم (الحافظ عثمان) حيث استخرج اسلوبا جديدا بعد ان اجرى تنقيح واصطفاء على الاقلام الستة ، وبعهده يمكن ان يقال ان عهد الشيخ حمد الله الاماسي قد انقضى .

وفي عهد السلطان العثماني مصطفى الثاني (١١٠٦-١١١٥هجرية) ثم في عهد السلطان احمد الثالث (١١١٥-١١٤٣هجرية) حيث اهتم كثيرا بفنون الكتاب ومن جملتها فن الخط ، وحضي الخطاط باحترام كبيرا حتى ان السلطان العثماني مصطفى الثاني كان يمسك الدواة لأستاذه الحافظ عثمان وهو يكتب متخليا بذلك عن اصول التشريفات السلطانية، حتى يستطيع الخطاط (الحافظ عثمان) ان يغمس قلمه بسهولة في مدادها . وذات يوم تعجب السلطان لبراعة استاذه في تنميق الحروف فقال : (لا اظن ان حافظا اخر ياتي بعدك) فكان جواب الحافظ ان قال : (اذا جاء سلاطين يمسكون الدواة لمعلميهم مثل سلطاننا لأتي كثيرون مثل الحافظ)[٢٩].

وفي القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي شاع استخدام الاقلام الستة وبطريقة الخطاط الحافظ عثمان حيث شاعت في كل انحاء الدولة العثمانية . وقد تطور خط (الثلث الجلي) وخاصة على جدران المباني يكتب خطوطا جسيمة تكتب باقلام عريضة كما ان السلطان العثماني احمد الثالث (١١١٥-١١٤٣هجرية) كان يكتب (بالثلث الجلي) ، وقد نجح الخطاط مصطفى راقم ان يطور هذا النوع من الخط ويجعله (الجلي) وقد اكتمل هذا التحول بعد وفاة راقم وبلغة اوجه على يدي الخطاط (سامي افندي) .

ان اهتمام الخطاطين العثمانين بخط الثلث وخاصة الجلي على امتداد تاريخ الخط ، فهذا النوع من الخط يمتاز بالانسيابية والرشاقة وهذا النوع من الخط يجعل الناظر اليه يعتاد الجمال والحركة المنتظمة.

وقد وضع الخطاط مصطفى راقم اسمه وتوقيعه على الكتابة وكان ذلك بعد سنة ١٢٢٥هـ/١٨١٠م ويبدأ بكلمة (كتبه) ثم اسم الخطاط ، وبعضهم كان يضع اسمه فقط ولا شيء غيره .

وقد ظهر نوع من الخط الى جانب الثلث والثلث الجلي كلمات وحروف متصلة ببعضها ، عرف هذا النوع من الخط بأسم(المسلسل) ، كما ظهر ايضا شكل اخر عرف بأسم (المثنى) وهو كتابة الكلمات مرتين معكوسة متقابلة متقاطعة واعتبر هذا شكل من التركيب ، وعرف باللغة التركية بأسم (آينه لي يازي) اي الكتابة ذات المرآة .

وخلال القرن الرابع عشر الهجري / العشرين ميلادي ، حيث شاع استخدام الثلث والنسخ والرقاع ، عندها ظهر قاضي العسكر (مصطفى عزت) و (محمد شوقي) في استنابول حيث طوروا فرعين بديعين وهما خط التعليق (النسخ تعليق) وخط (الديواني) . فقد ظهر وتطور خط (النسخ تعليق) او (النستعليق) في ايران وكان مستخدما في نسخ الكتب الادبية وخاصة دوواين الشعر . وان تدوين اللغة التركية كانت تكتب دون الحاجة لوضع الحركات علامات التشكيل ، مثلها مثل الفارسية ، فقد وجد خط (النسخ تعليق) مجالا واسعا للانتشار عند العثمانين في الكتب الادبية والدواوين وغيرها واشتهر من العثمانين بهذا الخط (العماد الحسني) وتلميذه (درويش عبدي البخاري)

(ت١٠٥٧هجرية) كما طور هذا الخط كل من (محمود افندي الطوبخانة لي) (ت١٠٨٠هجرية) و (سباهي احمد افندي) (ت سنة١٠٩٩هجرية) و (طورمش زاده احمد افندي) (ت١١٢٩هجرية) وتلميذه كاتب زاده محمد رفيع افندي (ت١١٨٢هجرية)[٣٠].

وظهرفي استنابول محمد اسعد افندي والذي عرف بلقب (اليساري) لانه كان مصابا بالشلل في جانبه الايمن ، فكان يستخدم يسراه في الكتابة وظهر بعده ابنه مصطفى عزت افندي ، والذي كان يكتب في بداية عهده على طريقة والده ، ثم طور نفسه بطريقة خاصة في التعليق الجلي وحصل على لقب (أغزر الخطاطين واحكمهم كتابة) ، ويجب الاشارة الى الطريقة العثمانية في كتابة التعليق الجلي تختلف عن الطريقة الايرانية ومن الخطوط الاخرى التي ظهرت في العصر العثماني وكمايلي :

١) **خط السياقت :-** وقد استخدم هذا النوع من الخطوط في سجلات الشؤون المالية ودوائر تسجيل العقارات ، وتميز بصعوبة قراءته وكتابته.
٢) **الديواني والديواني الجلي:-** لقد كان هذا الخط من ابتكار العثمانين وكان يستخدم في المكتبات الرسمية والفرمانات وغيرها ، وكان صعب القراءة والكتابة ، ثم شاع الخط الديواني في العالم العربي وبشكل يختلف عن شكله الاصلي ، وكتبت بهذا النوع من الخط الاوراق النقدية ، والصكوك ، وقد اجاد الخطاط العراقي المرحوم هاشم البغدادي في كتابته على النقود الورقية العراقية ولبعض الاقطار العربية.

٣) **الرقعة :-** استخدم هذا النوع من الخط في المعاملات اليومية ، ثم لم يلبثان انتشر خارج (الباب العالي) واشتهر به الخطاط (محمد عزت افندي) (١٢٥٧-١٣٢٠هـ/١٨٤١-١٩٠٣م)واقبل الناس عليه وشاع استخدامه وخاصة في بلدان العالم العربي .

٤) **خط الطغراء:-** والذي جوده العثمانيون ليكون شعارا للدولة العثمانية وبلغ اجمل اشكاله على يدي مصطفى راقم صاحب (الثلث الجلي).

الهوامش :

١) جمعة ابراهيم ، قصة الكتابة العربية ص١١-١٨.
٢) ابن النديم ، الفهرست ص٥ .
٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٣، ص٥٨٠.
٤) المصدر السابق ،ص٥٨٣.
٥) ناصر الدين الاسد : الخط في الاسلام ، ص٦٠ ومابعدها.
٦) البلاذري: فتوح ، ج٣ ، ص٥٨١ / ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٤، ص١٦١ ، المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص٢٤٥.
٧) سهيلة ياسين الجبوري ، تطور الخط العربي ، ص١٥٠.
٨) الداني ، المقتع ، ص٤-٦.
٩) الداني ، المصدر السابق ، ص١٠.
١٠) ابن النديم ، الفهرست ، ص٦.
١١) ابن النديم ، الفهرست، ص٦-٧.
١٢) القلقشندي ، صبح الاعش ، ج٣ ، ص٥٣.
١٣) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٢، ص١٢٣ ، ابن عبد ربه ،العقد الفريد، ج١ ، ص٢٩.
١٤) اوغور دمان ، مصطفى ، فن الخط ترجمة صالح سعداوي ، استانبول ،١٤١١هـ/١٩٩٠م.
١٥) ابو القاسم البغدادي كتاب الكتاب ، ص١٢٩ ، القلقشندي ، ج٣،ص١٧.
١٦) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٧.
١٧) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٥، ص١١٥.
١٨) حبيب زياد ، الوراقة والوراقون في الاسلام ، ص٣١٩.
١٩) ابن النديم ، الفهرست ، ص٨٠.
٢٠) ابن النديم ، الفهرست ، ص٧٩.
٢١) ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٤٧٧.

٢٢) ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٤٧٨.
٢٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج١ ، ص٢٩.
٢٤) اوغورمان ، المرجع السابق ، اسطنبول ، ١٩٩٠م.
٢٥) البغدادي ، كتاب الكتاب ، ص١٢٩.
٢٦) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٤ .
٢٧) قاضي احمد كلزارهز ، ص٦٠.
٢٨) دائرة المعارف الاسلامية التركية ، ج١٣ ، ص٣٥٥ .
٢٩) الموسوعة التركية ، ١٩٤٢-١٩٨٥ م ، ص٣٢٦.
٣٠) دوحة الكتاب بالتركية الحديثة ، ص٦٣.